لوحات راس شمـــرا

ترجمة يسرى الأيوبي

المقدمـــة

في عام 1929 اكتشف في رأس شمرا قرب اللاذقية على الشاطئ جنوبي انطاكية هيكل بعل الذي كان يحتوي على لوحات حجرية مكتوبة بخط مسماري متطور، تعود الى عام ألف وأربعمائة 1400 ق. م. وتحتوي اللوحات في مكتبة الهيكل على جزء من الأدب الديني الكنعاني المفقود. وهذا الأدب له أهميته لمعرفة المجتمع السوري والفلسطيني قبل خروج الاسرائيليين من مصر الذي تم كما يقدر المؤرخون في 1290 ق. م.

"كانت سوريا وفلسطين تشكلان وحدة ثقافية منذ بدء العصر البرونزي حوالي 4000 ق. م. والآثار تدل على نشاط ثقافي هائل تشارك به كلا من مصر وسوريا وفلسطين.. واذا حكمنا بعمق وانتشار الرواسب المعدنية، فانها تدل على ازدياد كبير في عدد السكان وبتعقد التنظيمات الاجتماعية. فالأسوار الكثيفة قد شيدت في أريحا ومجدو وجبيل وغيرها. وأريحا وحدها كما أظهرت الحفريات قد شيد فيها في الألف الثالثة ق. م. لا أقل من 14 سورا متتاليا.. ان الحفريات تدل على أنها فترة تشكل الدول المدينية وتوسعها" (بريتانيكا 1965 : علم الآثار)

لوحات راس شمرا ترجمة يسرى الأيوبي

تظهر اللوحات الثلاث التي وجدت في هيكل بعل في رأس شمرا بأن ايل هو كبير الآلهة، وهو اله وثني يعيش مع باقي الأرباب في قمة جبل "لا لا" (جبل الأقرع قرب اللاذقية). وهناك عرشه ومملكته وحقوله، ومن هناك يصدر الأوامر في مجمع الآلهة. وهم يأكلون ويشربون ويولمون ويقتتلون ويأسر بعضهم بعضا، ويسود بينهم أعراف وقوانين نتبين منها بأن الرسل لا يمسون بأذى " الرسول يحمل على أكتافه كلمات سيده ". وكبير الآلهة ايل ليس منزها عن الخطأ فقد يحابي وقد يظلم كما حابى يم وسانده في بناء هيكله وإعادة الإعتبار اليه فلا يعتدي أحد على قدسيته باختراق مياهه، وكما ظلم بعل الذي أراد أن يسلمه عبدا ليم لأنه قد تجاوز حدوده وأراد تذليل البحر، وهذا عدوان على اله من آلهة الطبيعة يستحق من أجله أن يقدم ضحية له .

ان ايل يمثل الجيل القديم وهو يصارع الجيل الجديد المتمثل ببعل رمز الشباب الأزلي حتى يحتفظ بكل سلطاته التي لا يريد أن يتنازل عن شيء منها، ولكن الجيل الجديد ينتصر في المعركة بفضل شبابه وارادته الجبارة و وينتصر على يم فيأسره ويذلله لنفع الانسان، الاّ أن يم يبقى الها لايتمكن بعل من إخضاعه بشكل قاطع، فله تمرده، ونزواته، وثاراته.. وهذا رمز لانتصار الطبقة التجارية التي صنعت السفن وخرقت البحار. والهراوات التي كان يصنعها الفنان المهندس "كوثروحسيس" لارضاخ يم، لم تكن سلاحا كما يتبادر للذهن لأول وهلة، فما هي الا لوحات السفن والمجاذيف. وتسمية الهراوة بـ "ايمر" بمعنى تمر أو تخترق اليم دلالة على أنها تعني المجاذيف التي تبرى وتصبح صالحة لاختراق البحر. ومنها جاء اسم مريم أي "سفينة البحر" او طريق البحر.. ان موضوع الصراع بين بعل ويم تنقسم فصوله في لوحات ثلاث كأنما هي فصول مسرحية أزلية. فأولى اللوحات تظهر ايل كبير الآلهة يطلب من المهندس كوثروحسيس أن يبني هيكل الأمير يم ويرمم بيت القاضي نهر ويعيد لقدسيتهما الاعتبار.. ويرسل شبش (الشمس) لتحذر بعل من غضب ايل اذا

لوحات راس شمرا ترجمة يسرى الأيوبي

استمر في عدوانه، وبأنه سيسلمه عبدا ليم. واللوحة الثانية حوار بين بعل ويم يهدد فيه الواحد الآخر وتنتهي بإرسال يم رسلا لايل حاملة شكوى بعل فيأمر ايل بتسليم بعل اليهم ولكن بعل يرفض الأسر ويخاص نفسه. واللوحة الثالثة تصور المعركة بين بعل ويم، وانتصار كوثر و حسيس لبعل ومساعدته في صنع الهراوات التي يرضخ بها يم، وتنتهي بانتصار بعل ومحاولته القضاء على يم لولا أن عشتارت تصيح به محذرة:

اخجل يا بعل القوي
اخجل ياراكب السحب
لقد سبينا الأمير يم
لقد سبينا القاضي نهر
وحينما خرجت الكلمة من فمها
كان بعل قد خجل

أي ان الغاية هي تذليل البحر لا القضاء عليه، وهي رمز أيضا لتذليل العبيد دون القضاء عليهم.

وتنتهي اللوحة بترديد يم "انني أموت وبعل سوف يملك."

يسرى الأيوبي